أسباب فشل مؤتمرات الصلح القبلي في السودان؟

(حالة الرزيقات والمعاليا)

(ورقة قدمها لمنتدى مركز دراسات المجتمع، الخرطوم: ١٥ مارس ٢٠١٦)

البروفيسر/ عبـدهـ مختـار موسى

قسم العلوم السياسية – جامعة أم درمان الإسلامية–السودان

مستخلص

تحاول هذه الورقة أن تكشف المتغيرات الجديدة في الصراعات القبلية في دارفور بصورة عامة وبين المعاليا والرزيقات بصورة خاصة. مثل ظهور السلاح والحركات المسلحة وأزمة دارفور وما صاحبها من استقطاب إثني/سياسي، وظهور النفط الذي زاد من سعر الأرض – من خلال التعويضات التي تقدمها شركات التنقيب للقبائل. كما تحاول أن تدرس **سؤال محوري** هو: لماذا تفشل مؤتمرات الصلح القبلي عامة وتلك التي بين الرزيقات والمعاليا على وجه الخصوص؟ تنطلق هذه الورقة من **فرضية** فحواها: أن الصراع حول الأرض وإضعاف الإدارة الأهلية وتسييس القبيلة والاستقطاب الإثني تشكل أهم العوامل في تعقيد واستدامة الصراعات القبلية في دارفور. تتناول الورقة تعريف وخلفية لكل قبيلة (الرزيقات والمعاليا) وخلفية لعلاقة التعايش بينهما. وتقدم احصائيات للصراع بينهما. وتشير إلى أن قبيلة الرزيقات قد كانت طرفا في أكثر من ٤٠% من جملة المعارك القبلية الكبيرة في إقليم دارفور في خلال العقود الستة الماضية مع أكثر من ٣٠ قبيلة، وكانت أكثر المواجهات مع قبيلة المعاليا. تدرس الورقة مؤتمر مروي (فبراير ٢٠١٥) وتعرض ملخص لموقف كل طرف وتحليل خطاب كل طرف. كما تقدم الورقة ملخصا للحجج والحيثيات التاريخية التي قدمها كل طرف في إثبات ملكيته للأرض. وتشير الورقة لمحورية الأرض في الصراع، وتقترح كيفية التعامل معها. وتشير إلى أن فشل مؤتمرات الصلح يرجع إلى عدم وجود آلية لتنفيذ البنود المتفق عليها وإلى عدم وضع حلول مستدامة. كما تقدم الورقة عشرة مقترحات لوضع الحلول الجذرية لهذه المعضلة.

لماذا فشلت اتفاقيات الصلح القبلي في السودان؟

مدخل:

أن يزداد الصراع القبلي في اتجاه مناقض لروح العصر والحداثة حيث انديا ح التعليم والوعي، وفي اتجاه مناقض لروح الإسلام في قيم التسامح والإخاء. وأن يموت ٢٥٠٠ مواطن في صراع قبلي مسلح، بجانب مئات الآلاف من الجرحى وحرق العشرات من القرى وخسائر تُقَدَّر بالمليارات من الجنيهات، أمراً يستدعي التوقف والتأمل والدراسة. وهذه تشكل تحديا للنخبة السياسية وغير السياسية في الدولة والمجتمع والإقليم، بما في ذلك الطبقة المتعلمة من أبناء هذه القبائل المتقاتلة. وتشكل هذه الصراعات المستمرة مسؤولية أخلاقية لكل هذه الدوائر – الرسمية والشعبية.

تحاول هذه الورقة أن تكشف **المتغيرات الجديدة** في الصراعات القبلية في دارفور بصورة عامة وبين المعاليا والرزيقات بصورة خاصة. كما تحاول أن تدرس **سؤال محوري** هو: لماذا تفشل مؤتمرات الصلح القبلي عامة وتلك التي بين الرزيقات والمعاليا على وجه الخصوص؟

تنطلق هذه الورقة من **فرضية** فحواها: أن الصراع حول الأرض وإضعاف الإدارة الأهلية وتسييس القبيلة والاستقطاب الإثني تشكل أهم العوامل في تعقيد واستدامة الصراعات القبلية.

أولاً: خلفية تاريخية:

١. الرزيقات:

الرزيقات قبيلة عربية بدوية وهي فرع من فروع قبيلة البقارة من جهينة وهي من أكبر القبائل العربية المنتشرة في السودان وهي تنتشر بشكل أساسي في إقليم دارفور وكردفان وبعض المناطق شرق تشاد يدينون بالإسلام السني وهم عرب رحل يرتحلون حسب فصول السنة بين المناطق المختلفة وينقسمون إلى عدة بطون.ناظر القبيلة الحالي هو الشيخ سعيد ماديبو في مدينة الضعين بولاية جنوب دارفور.[1].

في الآونة الأخيرة رفضت قبيلة الرزيقات الانضمام إلى التحالف الحكومي والجنجويد للقضاء على المتمردين ضد الحكومة السوادنية بقيادة الرئيس عمر البشير لانعدام التنمية في

مناطقهم، بينما شارك آخرون في معارك متعلقة بأزمة دارفور منهم الشيخ موسى هلال من بطن المحاميد.

النسب

ينتسب الرزيقات إلى علي الرحال بن عطية بن جنيد، وهم ثلاثة اخوة لأبيهم اسماؤهم (زبله، زبيلة، رزيق) زبلة جاء بالزبلات ونظارتهم الآن بمنطقة كبكابية. الابن الثاني زبيلة ومن ذريته جاء العريقات وهم سموا كذلك لأن إبن زبيله كان قد شارف على الموت من مرض ألم به وانتظر الناس موته طويلاً فكانوا عندما يسألوا عن حاله يجيب أباه بأن العريق لسه بطق كناية عن عدم موته فتعافى من مرضه ذاك ولازمه اسم عريق، فأنجب العريقات وهم ينتشرون في كل نواحي دارفور وبعضا منهم في تشاد ولهم أربعة خشم بيت (فخذ) هم المناوية وأولاد قرو والدميصات والنصرية الذين ينتمي إليهم الشيخ حماد عبد الله جبريل شيخ العريقات والذي خلف أباه في الشياخة وموطنهم في مدينة كتم بولاية شمال دارفور وقرية مصري غرب مدينة كتم. وللعريقات تاريخ طويل في منطقة دارفور وتشاد وهم في الأغلب الأعم رعاة إبل نظراً لتوطنهم في المناطق الشمالية من دارفور وهي ما تعرف بحزام السافنا الفقيرة ونطاق الصحراء وشبه الصحراء. الإبن الثالث وهو رزيق أنجب الرزيقات وهي قبيلة كبيرة تنتشر في كل أنحاء دارفور، لهم عدد من الأفخاذ وهم المحاميد الماهرية الشطية النوايبة وأولاد زيد وغيرهم. التقسيم الإداري لقبيلة الرزيقات تنقسم إدارة الرزيقات إلى عدد من التقسيمات.[1]

أقسام الرزيقات فى السودان-:

الرزيقات ينقسمون إلى ثلاثة عمائر كبيرة وهي- :

أ /النوايبة -جدّهم هو / نايب بن رزيق .

ب /المحاميد -جدّهم هو / محمود بن رزيق .

ج /الماهريّة - جدّهم هو / ماهر بن رزيق.

رزيقات الجنوب:[2]

والنوايبة ينقسمون إلى بطنين كبيرين هما ضمرة وجمّول وينقسم المحاميد إلى بطون كثيرة ، منهم أولاد فزعة ,أولاد زيد، أولاد يا سين، أم جلّول، أولاد ضحية وأولاد تاكو. و ينقسم الماهرية الى بطون كثيرة أيضا، منهم أم أحمد، العطيفات، أم سلمة وأم جلّول والعريقات وهناك أيضا أولاد حسن وأولاد حميد، ولكل بطن أفخاذ كثيرة ولكل عمارة وجود إداري خاص بها في موقعها،

[1] أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، وfacebook, 26.10.2011

[2] موقع حركة العدل والمساواة، ٢٩.٣.٢٠١١ JEM

فالنوايبة رئاستهم في الفردوس (أضان الحمار سابقاً)، والمحاميد رئاستهم في عسلاية (قميلاية) سابقاً (و الماهرية رئاستهم في مدينة) الضعين (والتي أسسها / برشم عبد الحميد جد الناظر مادبو - و لهم وجود أيضا في(أم مطارق) و (كورينا) و (ابوجابرة)، ويوجد أعداد كبيرة من الرزيقات (شماليين وجنوبيين) فى العاصمة الخرطوم وكذلك في (القضارف) و(الجزيرة أبا) و(ربك) ومنطقة (الباقير)، ما شجّعهم على تأسيس عمودياتهم و مشيخاتهم وادارادتهم الأهلية الخاصة بهم في هذه المناطق الواقعة في شرق و وسط السودان.

رزيقات الشمال:[٣]

أما رزيقات الشمال فينتشرون في مساحة تقدر بحوالى 15,000ميل مربع بشمال شرق دارفور ويتركزون في قارسيلا و زالنجي ووادي صالح والجنينة وكتم وجبل عطرون و مصرى و أم سيّالة وبراكالّة وقرير وغيرها، وهم ابّالة يعتمدون على تربية و بيع الإبل و تصديرها إلى مصر و ليبيا ,بالإضافة إلى الزراعة ، و يسمّون بالرزيقات الشماليين، فهم أيضا المحاميد والماهرية و العريقات و معهم، الزيّادية، امجلّول، العطيفات، الشطيّة، أولاد ياسين، أولاد راشد، أولاد عيد ,أولاد حسين، المهادى و بعض البطون الأخرى و التي لا تتوفر المراجع الكافية عنها) بعض الروايات تذكر بأن رزيق هو أخ عريق و بذلك يصنفون العريقات بأنهم أعمام الرزيقات.

كما توجد قبيلة الرزيقات في الجزائر حيث يتركزون في الجنوب الغربي لجمهورية الجزائر. كذلك يوجدون في مصر ويُقال أنهم وفدوا من منطقة نجران في بلاد اليمن موطنهم الأصلي، وقد أتوا بعد الفتوحات فقط. وعاشوا ببلاد السودان غرباً. وهم بقارة استقروا بجنوب دارفور(حاليا شرق دارفور) يحدهم جنوبا بحر العرب، وشرقا دار الحمر وشمالاً البيقو والداجو والبرقد، وغرباً الهبانية، وهم جهينيو الأصل.[٤]

٢.المعاليا:

المعاليا من القبائل العربية التي هاجر أسلافها إلى السودان من صعيد مصر . وهي تنتسب إلى قيس عيلان بن مضر بن معاوية وينتهي نسبها في معد بن عدنان . وفي صعيد مصر يعرف هذا الفرع الرئيسي من فزارة التي ينتسب اليها المعاليا في السودان، ويُعرف هذا الفرع في الصعيد بالمعاقيل أو المعاقلة. ويوجد بعض منهم أي من فزارة التي ينتسب إليها المعاليا في سنورس وملوي ودمياط وبعض مدن صعيد مصر . وتجمع فزارة في مجموعتها خمس قبائل في شمال كردفان والبعض الآخر في جنوب دارفور ،وهي :- المعاليا – الزيادية – البزعة – بني جرار – الشنابلة ودار حامد.

---

[٣] المصدر نفسه.

[٤] أنظر: جمال حسن أحمد حامد،مشايخ وزعامات الرزيقات بالسودان، إصدارات مركز الجلفا الجزائري

إن فبيل المعاليا من فزارة بن شيبان بن محارب بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار جد النبي صلي الله عليه وسلم وأن المعاليا كغيرهم من بطون قيس عيلان قد كانوا أوائل القبائل العربية التي دخلت السودان وقال المسعودي في كتابه مروج الذهب أن جماعة من المسلمين الأوائل قد سكنوا معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وأن فزارة من أولئك الذين جاءوا حملة للإسلام منذ فجره الأول بالسودان وإلتزموا بنشره وتعليمه لغيرهم وأن هنالك موضعا بارض المعادن يقال له رحم كانت به مضارب قبائل بليوجهينة وفزارة وغيرهم وجاء في كتاب كتاب قلائد الجمال للقلقشندي رويات في شأن عرب البحرين وعلاقاتهم الموغلة في القدم مع إقليم البجة وعدد قبائل منها فزارة ويقال المعاليا أنهم في فزارة ينتهي نسبهم إلى سهيلة وسهل بن حامد الأفزر الذي أنجب حامد معالي جد المعاليا وعريف جد العريفية ومجنون جد المجانين وزياد جد الزيادية وجرار جد الجرارية ومسلم جد المسلمية وقوية جد أولاد قوي وفرح جد الفراحية وهيان جد الهياتين وقد نسب بعضهم المجانين إلى المسلمية أي انهم فرع من المسلمية وليس

إخوة لهم.[٥]

هذا وقد صارت فزارة عدة قبائل تحفظ أنسابها وفروعها التي توزعت إلى مناطق كثيرة من السودان يقول المعاليا إن أولاد حامد الأفزر جاءوا عن طريق مصر فسكنوا أولا جنوب دنقلا ثم تفرقوا حيث واصل المعاليا إلى أن حطوا الرحال بشمال كردفان ومعهم الزيادية ثم عبروا حتى وصلوا تونس ثم بدأوا رحلة العودة حتي دارفور وإستقروا أولا شمال الفاشر حيث اتصل زعيم الزيادية وزعيم المعاليا بسلطان الفور، وكان يومها السلطان حسين والد السلطان محمد الفضل الذي أكرم وفادهما. وهناك رواية تتواتر عند المعاليا وهي أن سلطان الفور قد أهدى زعيم المعاليا خادمة مرصعة بالذهب وأهدى زعيم الزيادية جبة مصنوعة من الجوخ الأحمر. وفي الطريق وهما عائدان قال الزيادي للمعلاوي هل نتبادل الهديتين فوافق المعلاوي – فلما وصلا الديار أفهم الزيادية زعيمهم أن الذي قبلت به من تبادل يعني السلطة والإمارة ورمزها كسوة الشرف قد فاز بها زعيم المعاليا. فعندها طلبوا من المعاليا رد الجبة فرفضوا فحدثت المشاحنات حول مناهل المياه. وهي حكاية طويلة اشتهر من خلالها فارس المعاليا ولقبه (الشافنة بدرقته وسيفه) ثم إفترق المعاليا والزيادية حيث استقروا بقوزهم المعروف بقوز المعاليا شرق مدينة الضعين ثم انتشروا في جنوب دارفور ثم هاجر كثير منهم إلى كردفان. وتعتبر مدينة التبون بولاية غرب كردفان إحدى معاقل المعاليا بكردفان. هذا وقد ذهب بعض معمري المعاليا ان فروعا منهم أشراف حسينيون وقد وجدت أشجار انساب عند عدد منهم تتفق وشجرة نسب الأشراف التي ذكرت سابقا في باب الحديث عن الاشراف. وعندهم مخطوط قديم يؤكد نسب

[٥] الفحل الفكي الطاهر، كتاب "تاريخ واصول العرب بالسودان"، ص٩١، www.shaka.4mg.com

معاليا مدينة التبون وفروعا أخرى من المعاليا إلى الأشراف الحسينيون وهو أمر يصرون عليه بما لديهم من وثائق تدعم حجتهم[٦] .

فروع المعاليا:

من أهم بطون المعاليا: الخوابير وأم كريم والمعاقلة. ولهذه البطون فروع وخشوم بيوت كثيرة منها العقاربة. وهم عادة رعاة أبل يقمون في كليكلي أبو سلامة بجنوب دارفور. وكانت حاضرة المعاليا في القرنين الثامن والتاسع عشر. ومن بطون المعاليا الرمضانية وحبيس ومنهم دار احرة ودار الخادم وأولاد أم جمعة ومنهم العبادية والعلايقة والخوابير الحمر وغيرها من الفروع تكون في النهاية مجتمع المعاليا الذي يمتاذ بالتعاضد والتآلف ودعوة كل من يأتيهم إلى الانضمام إلى القبيلة ويجد السعة والترحاب به فتوسعت قبيلة المعاليا .

ذكر البروفسور يوسف فضل في كتابه "تاريخ السودان" أن جموع القبائل العربية من جهينة وفزارة كانوا أهم الداخلين من مصر بمحازة النيل وتوجهت مجموعة منهم غرباً من موقع بالقرب من منحى النيل في الدبة اتجهوا إلى شمال دارفور. وكانت المعاليا من أكبر بطون فزارة وهي تدخل دارفور حيث كانت منطقة جنوب ودعة مقراً لهم ثم وصلوا غرباً (الأُضيَّة) الحالية .

والمعاليا موجودون في شرق السودان وتوجد حالياً مجموعات مهنم في وسط قبائل البشارين وفروع البجا الأخرى وعلى ضفاف النيل الأزرق والنيل الأبيض وفي شمال جبل الأوولياء وشرق النيل. ونسب البعض أن قبائل العقليين المقيمين بود الحداد هم جزء من قبائل المعاليا الذين استقروا قديماً هناك. كذلك توجد مجموعة من المعاليا غرب الفاشر بمنطقة (كوبي). وهناك المعاليا بالحمادي وابوزبد والدلنج ورشاد بجنوب كردفان. والمعاليا بجنوب النيل الأزرق بمنطقة سنجة وفي منطقة قيسان وفي شمال الأُبيِّض بأم كريدم[٧].

نظام الحكم :

يسيطر المعاليا على أرضهم ارثا متوارثا في نظام أهلي أساسه شيخ القرية فعمدة خشم البيت فالناظر أو شيخ القبيلة. يساعدهم في ذلك ما يعرف بالدمالج والمناديب الذين تنحصر مهامهم في جمع الديات ومتابعة قرارات الصلح بين القبائل.

فالشيخ في القرية مسؤول ووارث للأرض التي تحدها حدود القرية وله كامل الصلاحية وفق العرف لتمليكها مؤقتا للمستثمرين من الزراع والعمار وعليه حفظ الأمن والنظام في القرية وفض النزاعات.

أما العمدة فهو صاحب الدائرة الأوسع التي تكون مسؤولة عن خشم البيت أو الفخذ أو مجموعة

---

[٦] المصدر نفسه.

[٧] المصدر نفسه.

البطون، وهو مسئول عن الضريبة والزكاة وفض النزاعات بين جماعته وأي جماعة أخرى، وهو حلقة الوصل بين جمهوره والناظر والمحلية التي يتبع لها.

أما الناظر فهو القيادة الشعبية المختارة من قبل رجالات القبيلة. ودور الناظر هو قيادة القبيلة في جميع المحافل وفض النزاعات بينها وبين غيرها من القبائل ، والنظر في القضايا التي تنشأ بين مواطنيه والحكم فيها وفق الحكم الساري والقانون .

زعامة المعاليا :

منذ قبام مملكة الفور في عهد السلطان سليمان الأول (١٤٤٥-١٤٧٦ ميلادية) ، تقلد مهام القيادة في القبيلة ثلاثة عشر شيخا وناظرا وهم :

-السلطان حبيب الله، أحمد ود سليمان، صافب النور ساغة، علي ود حجير، محمد علي ابو سلامة، جاسر صندوق، جلي جاسر، دوداو ود سرار(أبو أم خميس)، نورين دوداو، آدم دوداو، عبد الله حنيطير، أحمد حسن الباشا، ثم الناظر آدم الشريف سالم الذي تم اختيارة من قبل القبيلة تعد وفاة شيخها المجاهد الاستاذ / أحمد حسن الباشا رحمه الله في مايو ٢٠٠٢، ثم محمد أحمد الصافي (حتى ٢٠١٥).

موطنهم الحالي :

المنطقة التي تضم محافظة عديلة بولاية جنوب دارفور، وهم يجاورون الرزيقات من ناحية الشمال الشرقي، وقبيلة البرتي من الناحية الجنوبية وقبيلة المسيرية من ناحية الشمال وقبيلة حمر من ناحية الغرب .

والمعاليا من القبائل المستقرة ، العاملة بالزراعة وتربية الحيوان وقد ساعدها الاستقرار في أخذ النصيب المناسب في التعليم الجامعي وفوق الجامعي ، اذ لدي قبيلة المعاليا ما يزيد عن الفي خريج وطالب جامعي الان في مختلف التخصصات . ومحافظة عديلة التي تشرف علي شئونهم مع سائر المواطنين بالمنطقة تعتبر من المحافظات او المحليات الوليدة التي تسير بخطي مقدرة نحو التنمية والاستقرار . حيث توجد بها ابار البترول في شارف والزرقة ام حديدة وما زالت الحفريات والبحوث جارية داخل حدود المحافظة . وهي من المحليات المنتجة لأهم الحاصلات في السودان [الفول السوداني – حب البطيخ بمختلف درجاتة الدخن والصمغ العربي]،اضافة الي انتاج الضان المهجن والحمري الصالح للتصدير والابقار والماعز والابل بمستويات مقدرة .

ويشكل المعاليا ٩٠% من السكان في دائرة هذه المحافظة . وعلاقة المعاليا بجيرانهم من قبائل جنوب دارفور حميدة عدا علاقتهم بالرزيقات التي ساءت في السنوات الاخيرة بسبب النزاع في الادارة الاهلية . وديار المعاليا الحالية هي موطنهم الذي استقر فيه اجدادهم منذ القرن الخامس عشر الميلادي أي حوالي ١٤٤٥م بداية تأسيسي مملكة الفور.

التراث

احتفظ المعاليا بتراث غني بالأعراف والعادات والتقاليد العربية الأصيلة في مختلق المجالات في العلاقات الاجتماعية وفي التراث الشعبي المتمثل في الغناء والرقص والأحاجي والقصص الشعبي. فمن عاداتهم حتى اليوم تزويج البنت لإبن عمها الأقرب فالاقرب، ونصرة المستغيث بالفزع والحمية القبلية. ولهم عادات طيبة في الكرم واستقبال الضيف، يقف شاهدا عليها حتى اليوم (الضرا)[٨] والمنزلة ومجلس الجودية. وهم من القبائل التي لها اسهام في المجال الديني والاجتماعي والسياسي فمشهود لهم بافامة خلاوى القرآن، ولهم مشايخ مشهودون قبل المهدية وبعدها، ولازالوا يحتفظون بالخلاوى في قراهم لتعليم القرآن.

أما في مجال الأغاني والرقصات الشعبية فلهم رقصة (التونجة) وهي أشبه بالدبكة اللبنانية. وهنالك رقصات وافدة على القبيلة مثل القندلة والطمبور اكتسبها المعاليا من جيرانهم من القبائل الأخرى. ومن أعظم رقصاتهم الجماعية التي تعبر عن الحماسة والشجاعة و الفروسية (جدي الريم) وهي رقصة مشتركة بين الرجال والنساء ، الرجال في صف والنساء في صف ويتم فيها تبادل المحاسن والمكارم والخلق الرفيع.[٩]

ثانياً: خلفية العلاقة بين القبيلتين وواقع تعايشهما:

تقول الديباجة المثبتة في وثائق تأريخ السودان إن كلاً من الرزيقات والمعاليا قبائل ظاعنة وفدت عبر العصور إلى السودان كغيرها من مجموعات عربية منتشرة بطول البلاد وعرضها.. والمتاح بحثياً يحكي أنهما التقيا في هذه الرقعة الجغرافية من باب الصدفة دون تدخل منظم من جهة رسمية.. بغض النظر عن لمن كانت الأسبقية في الحضور، وفي منتهى الود تجاور الإخوة واستقروا بشكل منظم في دارفور إلى الشمال من بحر العرب. ويلاحظ بعض الكُتّاب أن اسم الرزيقات هو الأعلى رنيناً بالنسبة لتفاصيل ومرجعيات المنطقة الشرقية الضعين التي كانت جزءاً مهماً ومؤثراً من خريطة إقليم دارفور الكبرى.. والمعروف أن التشريح القبلي للمنطقة يضم أربعة مكونات رئيسة هي الرزيقات «الأكثر عدداً وترحالاً» والمعاليا «الأكثر استقراراً، بجانب البرقد وبقية مكونات أخرى تعيش وسط الخريطة الديموغرافية للمنطقة التي كانت مستقرة بشكل أفضل مما هي عليه الآن، رغم التطور الإداري الذي صعد بها من محافظة «محلية» إلى ولاية تأسست سنة ٢٠١٢م. ورغم حداثة سنها فقد تعاقب عليها «٤» ولاة بمتوسط

[٨] مكان يتجمع فيها الرجال للأكل، سواء كان في رمضان أو غيره، بحيث تأتي كل أسرة بطعامها، وهو تعبير عن التكافل الاجتماعي ويعزز من حميمية العلاقات الاجتماعية.

[٩] هذه الأجزاء عن المعاليا (نظام الحكم، وموطنهم الحالي والزعامة والتراث) هي تحقيق الأستاذ إبراهيم حسن الباشا من مصادر متعددة (السيف والنار لسلاطين باشا؛ مذكرات أبو سن، مدير دارفور الأسبق؛ روايات شهود العصر من المعمرين، وثيقة تاريخية مجهولة واردة من الشيخ يوسف احمد ابراهيم عن معركة السليمة

عمر «٩» أشهر لكل منهم.. مما يدل على أنها ولاية تعج بالمشكلات. فقد اندلعت في الضعين (عاصمة الولاية) الصدامات القبلية الدامية بين الرزيقات والمعاليا نتيجة احتكاكات في المرعى ومصادر الشرب سنة ١٩٦٦ (أحداث دونكي أبو كارنكا) التي تم احتواؤها بتدخل قوي ومباشر من الدولة أنجب مؤتمر الصلح الأول سنة ١٩٦٨، والذي بعده هدأت الأوضاع واستقرت نسبياً حتى جاءت ثورة مايو سنة ١٩٦٩م، والتي حلت الإدارة الأهلية في السودان سنة ١٩٧٠م.[١٠] وعلى الرغم من ذلك شهدت العلاقة بين القبيلتين تعايشا سلمياً. ربما يرجع ذلك – جزئيا – لمنهج حكومة مايو (جعفر نميري) التي لم تتعامل مع مناطق السودان على اساس قبلي وكانت أكثر فترة تراجع "القبلية" فيها. واستمرت حالة الاستقرار بينهما حتى حقبة الحكومة الانتقالية ثم الأحزاب (١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م).

وحقيقة استتب الأمن بالمنطقة طوال هذه الفترة التي بلغت (١٩ سنة) وتراجع مد الطموحات القبلية والشخصية المرتبطة بتداعيات الإدارة الأهلية والصراع حولها.. ومن ثمرات الانسجام الذي تم بين القبيلتين إبان هذه الفترة كان التنسيق حزبياً – عبر الأحزاب السياسية – بين الناس في انتخابات الجمعية التأسيسية، وهي خطوة ضخت كثيراً من مداد الثقة على سجل العلاقات التنسيقية بين الرزيقات والمعاليا على كافة المستويات. وفجأة انقلبت الأوضاع إلى الضد إعادة الثقة في الإدارة الأهلية في السودان سنة ١٩٨٩م، لكن بتسييسها حيث تدخلت الدولة في تعيين قياداتها – وهم بالضرورة الموالين للحركة الإسلامية الحاكمة من خلال ما يُعرف بـ "التمكين". فعادت إلى السطح من جديد مطالبة المعاليا بكيان منفصل عن الرزيقات للإدارة الأهلية على خلفية كثير من المبررات التي كانت تعتمل في عقلهم الجمعي. ومع مرور الزمن تحولت المناشدة الشفهية سنة ١٩٩٧م إلى مذكرة رسمية بطلب نظارة للمعاليا.. هذه التطورات اللافتة أفرزت مشاحنات لفظية مستمرة واحتكاكات مسلحة هنا وهناك أدت في النهاية إلى نشوب معركة التبت التي راح ضحيتها عدد مقدر ونفر كريم من الجانبين.[١١] ورغم جهود ضخمة بذلتها حكومة ولاية جنوب دارفور استمرت الاعتداءات من الجانبين ضد بعضهما ولم تتوقف طوال الفترة ١٩٩٧ وحتى ٢٠١٥ (تاريخ كتابة هذه الورقة). ويبدو أن تفاعلات سالبة قد ترتبت على قرار والي جنوب دارفور آنذاك (المهندس الحاج عطا المنان) بمنح قبيلة المعاليا نظارة أسوة بالترجم غرب نيالا. بالإضافة إلى كون القرار مكافأة من الدولة للمعاليا نظير عفوهم عن إعدام) (68 من الرزيقات، وحقيقة كان موقف المعاليا لفتة وطنية وإنسانية جديرة بالاحترام والإشادة،

[١٠] الحسين إسماعيل أبو جنة، "الرزيقات والمعاليا: هل تتكفل الصدفة بحل المشكلة؟"، مقال في صحيفة الانتباهة، الخرطوم: ٢٠١٥/٩/١.

[١١] المصدر نفسه.

ويفترض أن تؤسس لسلام دائم مع الرزيقات. غير أن الوضع تفجر مرة أخرى واستعصى على الأجاويج. [١٢]

ومع هشاشة الأوضاع الأمنية بتراكم الاحتقانات التي صاحبت المطالبة ثم المصادقة بنظارة للمعاليا، زاد من تفاقم الأزمة بين الطرفين من خلال الصراع بينهما حول المناصب والسلطة. وفي هذا المناخ المضطرب ارتفعت عملية إثارة النعرات والفتن القبلية، وخاصة أن المنطقة رخوة ومكشوفة لعبور حركات التمرد من وإلى جنوب السودان، وهي حركات تقوم على الاستقطاب الإثني والقبلي وتملك من العتاد والسلاح ما يكفي لذلك. وهذه الملامح التي استجدت على خريطة الأزمة عجلت بوقوع أحداث الهجيلج (التي تتبع لشمال كردفان) بين الخصمين؛ وتبعتها سلسلة من المواجهات في بادية المعقرات وبادية بخيت، وتم على اثرها قفل طريق القطار من الضعين إلى بابنوسة. وبعد ذلك توالت الأحداث وتزايدت الاحتقانات حتى قيام مؤتمر الفولة الذي فشل بسبب انسحاب الرزيقات محتجين على مشاركة (العقاربة) مع المعاليا في المفاوضات، فرد جماعة الناظر التحية بمثلها فانسحبوا من التوقيع على وثيقة مؤتمر مروي احتجاجاً على جملة اعتبروها جارحة لكرامتهم كونها تتحدث عن الأرض كحاكورة للرزيقات[١٣] .

إن الصراع بين هاتين القبيلتين هو جزء من سلسلة صراعات قبلية كثيرة. ولكن أصبح الصراع بينهما لافت للنظر من حيث التكرار والوتيرة وحجم الخسائر. وهذا الجدول يساعد في معرفة مدى حجم هذا الصراع مقارنة بالصراع القبلي في دارفور بصورة عامة في فترة تاريخية محددة.

[١٢] الحسين أبو جنة، المصدر السابق.
[١٣] المصدر نفسه.

الجدول التالي (رقم ١): يوضح قائمة النزاعات القبلية الكبيرة في دارفو للفترة بين (١٩٣٢م و ٢٠٠٩م) وآلية فض النزاع

	القبائل المتنازعة	السبب	آلية فض النزاع	التاريخ	الولاية
١	الكبابيش – الكواهلة- البرتي(ع) الزيادية(ع) - الميدوب (أ)	المرعى	الإدارة الأهلية	١٩٣٢	شمال دارفور
٢	البرتي - الزيادية(ع)	عشور وحدود قبلية	الإدارة الأهلية	١٩٥٦	شمال دارفور
٣	الميدوب – الزيادية- الكبابيش(ع)	اتفاقية المالحة	الإدارة الأهلية	١٩٥٧	شمال دارفور
٤	الزيادية - البرتي(ع)	حدود قبلية	الإدارة الأهلية	١٩٦٥	شمال دارفور
٥	المعالية(ع)- الرزيقات(ع)	قبلي	الإدارة الأهلية	١٩٦٤	جنوب دار فور
٦	ميدوب - كبابيش(ع)	قتل ونهب	الإدارة الأهلية	١٩٦٥	شمال دارفور
٧	زغاوة- زغاوة(أ)	موارد المياه	الإدارة الأهلية	١٩٧٦	شمال دارفور
٨	البني هلبة(ع)- الرزيقات(ع)	قبلي	الإدارة الأهلية	١٩٧٥	جنوب دار فور
٩	الرزيقات(ع) – الدينكا(أ)	رعاة- ذراع	تدخل الحكومة	١٩٧٦	جنوب دار فور
١٠	التعايشة(ع) – السلامات(ع)	رعاة – زراع	تدخل الحكومة	١٩٧٨	جنوب دار فور
١١	الرزيقات(ع) – المسيرية(ع)	رعاة – زراع	الإدارة الأهلية	١٩٧٩	جنوب دار فور
١٢	البني هلبة(ع)- الرزيقات(ع)	ثأر قبلي	الحكومة	١٩٨٢	جنوب دار فور
١٣	البرتي(ع) – الكبابيش(ع)	قبلي	الحكومة	١٩٨٣	شمال دار فور

١٤	الفلاته(أ) – القمر(ع)	قبلي	الحكومةوالإدارة الأهلية	١٩٨٤	جنوب دار فور
١٥	الرزيقات(ع) – الدينكا(أ)	قبلي	الحكومة	١٩٨٦	جنوب دار فور
١٦	الفور(أ) – العرب	رعاة – زراع	الحكومة	١٩٨٦	جنوب دار فور
١٧	الزغاوة(أ) – القمر(ع)	قبلي	الحكومةوالإدارة الأهلية	١٩٨٧	ش و غ دارفور
١٨	الزغاوة(أ) – القمر(ع)	نهب	الحكومة	١٩٨٩	ش و غ دارفور
١٩	الزغاوة(أ) – المعاليا(ع)	ثأر	مؤتمر قبلي	١٩٩٠	جنوب دار فور
٢٠	الزغاوة(أ) – الرزيقات(ع)	قبلي	مؤتمر قبلي	١٩٩٠	جنوب دار فور
٢١	الزغاوة(أ) – بني حسين(ع)	قبلي	الحكومة	١٩٩١	شمال دار فور
٢٢	الزغاوة(أ)- الميما(أ)	نهب	الحكومة	١٩٩١	شمال دار فور
٢٣	الزغاوة(أ)- البرقد(أ)	نهب	الحكومة	١٩٩١	جنوب دار فور
٢٤	الترجم(ع) – الفور(أ)	رعاة – زراع	الحكومة	١٩٩١	جنوب دار فور
٢٥	الزغاوة(أ) – الرزيقات(ع)	ثأر	الحكومة	١٩٩٣	جنوب دار فور
٢٦	الزغاوة(أ) – الزغاوة	قبلي	إدارة أهلية	١٩٩٦	شمال دار فور
٢٧	المساليت(أ) – العرب	رعاة – زراع	إدارة أهلية	١٩٩٦	غرب دار فور

٢٨	الزغاوة(أ)- الرزيقات(ع)	قبلي	الحكومة	١٩٩٦	جنوب دار فور
٢٩	المساليت(أ) – قبائل عربية	قبلي	الحكومة	١٩٩٨	غرب دار فور
٣٠	الرزيقات(ع) – دينكا(أ)	ثأر	الحكومة	١٩٩٨	جنوب دار فور
٣١	الداجو(أ)- الرزيقات(ع)	زراع – رعاة	الحكومة	١٩٩٨	جنوب دار فور
٣٢	الفور(أ) – الرزيقات(ع)	قبلي	الحكومة	١٩٩٩	جنوب دار فور
٣٣	المساليت(أ) – العرب	ثأر	الحكومة	٢٠٠٠	غرب دار فور
٣٤	الزغاوة(أ)- القمر(ع)	نهب	الحكومة	٢٠٠٠	شمال دار فور
٣٥	البرتي(ع) – الميدوب(ع)	قبلي	الحكومة	٢٠٠٠	شمال دار فور
٣٦	الرزيقات(ع) –أولاد منصور(ع)	قبلي	إدارة أهلية	٢٠٠١	جنوب دار فور
٣٧	الفلاتة و الهبانية	قبلي	إدارة اهلية	٢٠٠٧	جنوب دارفور
٣٨	الرزيقات والهبانية	أرض	إدارة اهلية	٢٠٠٩	ج دارفور

المصدر: الصادق أبكر موسى، أثر الصراع القبلي بين الرزيقات والمعاليا على الاستقرار السياسي والاجتماعي في ولاية شرق دارفور(رسالة ماجستير غير منشورة، مركز دراسات السلام والتنمية، جامعة نيالا، في: عبده مختار موسى، ورقة قُدِّمت في مؤتمر (النزاعات القبلية ومستقبل السلام الاجتماعي في السودان) نظمه مركز تحليل النزاعات، بجامعة امدرمان الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم، ٢٠١٥/٥/١٦.

الجدول أعلاه يوضح أمثلة من الصراعات القبلية المسلحة التي كان مسرحها إقليم دارفور في الفترة من ١٩٣٢ و ٢٠٠٩. وهي ٣٨ صراع مسلح. الملاحظ أن قبيلة الرزيقات كانت طرفا في (١٤) من هذه الصراعات. وهي تساوي نسبة (٣٧%) من جملة الصراعات. كما رصد الباحث كل الصراعات القبلية الكبيرة في الفترة من ١٩٣٢ إلى صيف ٢٠١٥ حيث بلغ عددها (٩٠) صراعا دموياً. شاركت فيه ثلاثون قبيلة من قبائل دارفور. كانت قبيلة الرزيقات

وحدها طرفاً في (٣٠) من هذه الصراعات، أي بنسبة (٣٣%) من جملة النزاعات. هذا يعني أن ثلاثين قبيلة كانت طرفا في ثلثي الصراعات القبلية بينما قبيلة واحدة – هي الرزيقات – كانت طرفا في الثلث من هذه الصراعات متفوقة على كل القبائل، العربية وغير العربية، في الإقليم.

ثالثاً: طبيعـة الصراع:

متغيرات جديدة في الصراع القبلي في المنطقة:

الصراعات القبلية قديمة وقد كانت تدور حول الأرض والمرعى والمياه – أي الموارد بصورة عامة. وقد تمثلت الأسباب العامة للصراعات القبلية في الآتي:[١٤]

١. النـزاع حول الأرض بما في ذلك النزاع حول الأراضي الزراعية في حدودها مع القبائل وتعدي الحيوانات على المزارع.
٢. التنافس بين القبائل المختلفة حول موارد المياه والمراعي
٣. النزاع حول الأراضي المعروفة بما يُسمى بالديار أو "الحواكيـر".
٤. التدهـور البيئي، والجفاف والتصحـر، وهجرة بعض القبائل إلى مناطق أخرى بسبب هذه العوامل الطبيعية.
٥. إثارة النعرات القبلية والعصبية الإثنية (عرب مقابل غير عرب/أفارقة).
٦. السـرقة و"التارات" (الثأر) وظهور النهب المسلح.
٧. غياب الدور الفاعل للإدارة الأهلية وعدم اللجوء للعرف في حل بعض النزاعات القبلية.
٨. تدفق السلاح من دول الجوار (العلاقات مع ليبيا والتداخل القبلي مع تشاد).
٩. توافـر أسلحة حديثة وسهولة الحصول على السلاح، وانتشار ثقافـة العنف.
١٠. النزاع بين الرعاة والمزارعين وتضارب مصالحهم؛ والاحتكاكات بين الرعاة والمواطنين المقيمين لاختلاف السلوكيات.
١١. المراحيل والمسارات الخاصة بالماشية والتي تمر عبر مناطق زراعية خاصة أن عرض المرحال هو ١٠٠ متر فقط.
١٢. القبلية والعنصرية والحمية القبلية.

[١٤] أنظر: عبده مختار موسى، "الأسباب السياسية للنزاعات القبلية في السودان، حالة إقليم دارفور"، ورقة قُدِّمت في مؤتمر (النزاعات القبلية ومستقبل السلام الاجتماعي في السودان) نظمه مركز تحليل النزاعات، بجامعة امدرمان الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم، ٢٠١٥/٥/١٦؛ أنظر كذلك: الطيب عبد الرحمن مختار، "الصراعات القبلية في السودان ودور المصالحات في فض الصراعات ورتق النسيج الاجتماعي ووقف الاقتتال"، الخرطوم، ديسمبر ٢٠١٣ (هو فريق شرطة م عمل في سبعينات القرن العشرين في إقليم دارفور ثم نائب والي هناك في ٢٠٠٠ - ٢٠٠٢).

١٣. الصراعات بين الدول المجاورة ولجوء هذه الدول لبعض القبائل لمساندتها ومساندة بعض القبائل لمعارضي حكومات تلك الدول.

لكن في الآونة الأخيرة (منذ العقد الأخير من القرن العشرين) دخلت **عناصر جديدة في الصراع،** منها:[١٥]

١. **التنافس على السلطة:** يعتبر من أخطر الأسباب الحديثة وذلك نسبة لأن القبائل تلجأ للعنف واستخدام ما يشبه الحرب المنظمة في تسليحها وتكتيكاتها لتهجير القبائل الأخرى بقوة السلاح لاستقلال مراعيها ومزارعها والاستيلاء على ثروتها مثل الحيوانات وما شابه ذلك.
٢. **التنافس السياسي:** يتمثَّل في لجوء القبائل الكبيرة للفوز بالانتخابات أياً كان نوعها ومستوياتها – مجالس أحياء، محليات، محافظات، مجالس تشريعية ولائية، وانتخابات عامة.
٣. **إضعاف القبائل المنافسة:** يتم ذلك باللجوء لشراء مصادر المياه التي هي عصب الحياة بدارفور والحكم فيها مثل شراء (الدوانكي)[١٦] والآبار وأحياناً يتم ذلك في قلب أراضي القبائل المنافسة.
٤. **عدم الالتزام بتنفيذ توصيات ومقرات مؤتمرات الصلح والاتفاقيات الموقَّعة بين القبائل:** معظم مؤتمرات الصلح التي عُقدت لم تكن هنالك جهة محددة أو آلية لمتابعة تنفيذ توصيات ومقررات تلك المؤتمرات مما جعل الصراع يتجدد مرة أخرى وأحيانا بعد فترة وجيزة من توقيع تلك الاتفاقيات.
٥. **ظهور الحركات المسلحة** (حركات التمرد في دارفور) وذلك بتركيبتها القبلية والإثنية حيث يقلب على بعض هذه الحركات هيمنة إثنية محددة مما يجعلها تدخل طرفاً في الصراع القبلي لصالح القبيلة المهيمنة على الحركة خاصة وأنها تملك أسلحة حديثة لدرجة أن بعضها يملك أسلحة ثقيلة مما أدى إلى ظهور "مليشيات قبلية" زادت من حدة الصراع القبلي من ناحية وزادت من تعقيد أزمة دارفور من الناحية الثانية.

---

[١٥] المصدر نفسه.
[١٦] هذا الاسم مستخدم في الريف، يعني "خزانات مياه ضخمة" ويُطلق عليها في مناطق أخرى – خاصة الحضرية – اسم (صهريج) وجمعها (صهاريج).

٦. الاستقطاب السياسي بين الأحزاب للقبائل على أساس سياسي/إثني (عرب مقابل زرقة).

٧. تسييس الإدارة الأهلية وإضعافها.

٨. بالنسبة للصراع بين المعاليا والرزيقات (على وجه التحديد) ظهر عامل النفط: حيث عندما تم اكتشاف بعض حقول النفط في منطقة شرق دارفور (مثل حقل شارف) بدأت شركات التنقيب تقدم أموالاً ضخمة كتعويضات لأراضي القبائل في المنطقة. لذلك ارتفع سعر الأرض باعتبار أنها منطقة محتملة لاكتشاف النفط وللتعويض. زيادة سعر أو قيمة الأرض بهذا العامل زاد من حرص القبائل على تحديد مناطق نفوذها وحدود أراضيها. وبالتالي مثّل هذا عنصراً جديدا في تصاعد الصراع بين المعاليا والرزيقات.

الملاحظ أن كثيراً من الكتابات والتعليقات تعطي الانطباع بأن قبيلة المعاليا هي دائما المعتدى عليها. وأنها الطرف الأضعف. وحتى كتابات بعض نخبها تحدثت عن محاباة واضحة لبعض النخب لصالح الرزيقات. ومن أمثلة ذلك اتهام من ناظر المعاليا لوالي جنوب دارفور الأسبق – عبد الحميد موسى كاشا – (قبل انفصال منطقة القبيلتين لولاية شرق دارفور) بأنه استغل موقعه كوالي وتحوّل إلى داعم لقبيلته – الرزيقات. جاء ذلك في بيان صدر بتاريخ ٢٠١٣/٨/١٤. وقد أشار البيان إلى أن "قبيلة المعاليا ... ظلت تتعرض لحربِ إبادة منظمة ومُخطط لها مع سبق الإصرار تقودها علناً الإدارة الأهلية لقبيلة الرزيقات ونُخَبَها السياسية الحاكِمة في المركز والمُحْتَكِرة للقرار الأمني في ولاية شرق دارفور مستخدمةً مليشيات الجنجويد ذات التاريخ الإجرامي السيئ في دارفور."[١٧]

لكن ربما منشأ هذا الاعتقاد عوامل أخرى من بينها أن قبيلة الرزيقات قبيلة كبيرة العدد مقارنة بالمعاليا، ومن هنا يأتي التعاطف، أو ربما أن قبيلة الرزيقات اتسم تاريخها بصراعات كبيرة وكثيرة مع عدة قبائل والدليل على ذلك ما تشير إليه الإحصائيات (كما يوضح الجدول السابق). لقد أثبتت الأرقام أن قبائل المعاليا لم تكن طرفا في أية صراعات قبلية، وكل ما تم

[١٧] أنظر نص بيان ناظر قبيلة المعاليا في نهاية هذه الورقة (الملحق).

تسجيله هو أن الطرف الثاني في صراعها هو الرزيقات. فقد شاركت في (٧) صراعات فقط هي كما يقول ابناء المعاليا بأنهم دائما في موقف المعتَدى عليهم – أي موقف المدافع عن نفسه.[١٨]

وفي برنامج "في الواجهة التلفزيوني" الذي من خلاله قاد معده ومقدمه الصحفي، أحمد البلال الطيب، مبادرة لتقريب وجهات النظر[١٩] قال ناظر عموم المعاليا، محمد أحمد الصافي، "هم الرزيقات ديل مشكلتهم مع السودان كله، بل مع قبائل دارفور كلها ... قبل أسبوعين كان عندهم مشكلة مع الهبانية..."[٢٠] وربما يكون هناك بعد سايكولوجي للمسألة ويكون التفسير جزئيا بالوضع في الاعتبار التركيبة النفسية/الاجتماعية وحتى التاريخية لهذه القبيلة.

من الجدول السابق ومصادر أخرى يمكن حصر المعارك القبلية بين قبائل دارفور والتي كانت قبيلة الرزيقات طرفاً فيها، في الفترة من ١٩٦٤ إلى ٢٠١٥م (جدول رقم ٢):

١. الرزيقات ضد المعاليا ١٩٦٤
٢. الرزيقات ضد المعاليا (قرية أبو كارنكا) ١٩٦٦
٣. الرزيقات ضد الزغاوة ١٩٦٨
٤. الرزيقات ضد بني هلبة ١٩٧٤
٥. الرزيقات ضد البني هلبة ١٩٧٥
٦. الرزيقات ضد البني هلبة ١٩٧٦
٧. الرزيقات ضد الداجو ١٩٧٦
٨. الرزيقات ضد البرقو ١٩٧٧
٩. الرزيقات ضد البني هلبة ١٩٨٢
١٠. الرزيقات ضد المسيرية ١٩٨٣
١١. الرزيقات ضد الداجو ١٩٨٨.
١٢. الرزيقات ضد الزغاوة ١٩٩٧.
١٣. الرزيقات ضد الداجو ١٩٩٨.
١٤. الرزيقات ضد الفور ١٩٩٩
١٥. الرزيقات ضد المعاليا ٢٠٠٠

[١٨] لماذا يرفض المعاليا مخرجات مؤتمر مروي (٢٠١٥) للصلح مع الرزيقات؟"، ورقة أعدها نخبة من أبناء المعاليا، مركز دراسات المجتمع، مايو ٢٠١٥.
[١٩] شملت عدة حلقات في التلفزيون السوداني في خلا شهري أغسطس وسبتمبر ٢٠١٥ حيث مقدمه أحمد البلال الطيب بزيارات ميدانية والتقي الطرفين، واستضافهما – كل على حدة ثم جمعهما في حلقات مشتركة..
[٢٠] برنامج "في الواجهة " التلفزيوني، إعداد وتقديم أحمد البلال الطيب، أنظر الحلقة (٧) منشورة في صحيفة أخبار اليوم السودانية، الخرطوم: ٢٠١٥/٩/٥، ص ص ٦- ٧.

١٦. الرزيقات ضد التنجر ٢٠٠٠
١٧. الرزيقات ضد المسيرية ٢٠٠٠
١٨. الرزيقات ضد المساليت ٢٠٠٠
١٩. الرزيقات ضد أولاد منصور (عرب) ٢٠٠١
٢٠. الرزيقات ضد الفور ٢٠٠٣.
٢١. الرزيقات ضد الفلاتة ٢٠٠٥
٢٢. الرزيقات ضد البرقد والترجم يناير ٢٠٠٦
٢٣. الرزيقات ضد الهبانية ٢٠٠٦
٢٤. الرزيقات ضد المساليت ٢٠٠٦.
٢٥. الرزيقات ضد الترجم ٢٠٠٧
٢٦. الرزيقات ضد الهبانية ٢٠٠٨
٢٧. الرزيقات ضد الهبانية ٢٠٠٩.
٢٨. الرزيقات ضد الترجم ٢٠١٠.
٢٩. الرزيقات ضد البرقد ٢٠١١.
٣٠. الرزيقات ضد المسيرية ٢٠١١.
٣١. الرزيقات ضد بني حسين يونيو ٢٠١٣.
٣٢. الرزيقات ضد المعاليا ٢٠١٣/٨/١٥
٣٣. الرزيقات ضد المعاليا ٢٠١٣/٩/١٨
٣٤. -- - -- سبتمبر ٢٠١٤
٣٥. - - - يناير ٢٠١٥
٣٦. -- - المسيرية يناير ٢٠١٥
٣٧. - - الهبانية ٢٠١٥/٣/٢٣
٣٨. - - المعاليا ٢٠١٥/٥/١٠.

هذه الأرقام توضح أن قبيلة الرزيقات هي القبيلة الأكثر مشاركة في المعارك القبلية في دارفور. وتقول هذه الاحصائيات أنها كانت طرفا في ما يزيد على الـ (٤٠%) من المعارك القبلية التي دارت في دارفور خلال ستة عقود. وبتحليل هذه الاحصائيات يُلاحظ أن قبيلة الرزيقات قد دخلت في معارك مع أكثر من (١٥) قبيلة في دارفور (أنظر الجدول أعلاه.) وكانت أكثر قبيلة دخلت معها في صراع ومعارك هي قبيلة المعاليا (٩ مرات)، ثم البني هلبة

(٤) والهبانية (٤) والمسيرية (٤) والداجو (٣) ومرتين (٢) ضد كل من الزغاوة والمساليت والترجم والبرقد...[٢١]

إذن يبلغ عدد مشاركات الرزيقات في معارك قبلية (صراعات مسلحة) أكثر من (٤٠%) من جملة هذه الصراعات القبلية في دارفور. أي أن قبيلة واحدة – الزغاوة – تعادل صراعات أكثر من (٣٠) قبيلة في دارفور (عربية وغير عربية) والتي تشكل جملة صراعاتها أقل من ٦٠% من جملة هذه الصراعات. وعلى وجه الدقة كانت الرزيقات طرفاً في حوالي ٤٢% (٣٨ من ٩٠) من جملة الصراعات القبلية في دارفور، في خلال أكثر من ٦ عقود، بينما بقية القبائل مجتمعة شاركت في حوالي ٥٨%. وهذا يعني بواقع أقل من ٢% لكل قبيلة – في المتوسط – بالنسبة لقبائل دارفور التي كانت الرزيقات طرفا في صراع معها. وهذا بلا شك يُعطي انطباعا غير حميد عن قبيلة الرزيقات مما يستدعي من نخبتها المتعلمة أن توضح الحقائق للرأي العام عن سبب ذلك، من ناحية، وأن تخاطب أعضاء القبيلة لمحاولة تغيير هذه الصورة النمطية التي ارتسمت لدى الآخرين عنهم. فاللجوء للقانون والحل السلمي هو الأفضل لحقن الدماء خاصة وأن القبيلتين يجمعهما دين واحد هو الإسلام الذي يُحرِّم قتل النفس إلا بالحق.

رابعاً: لماذا تفشل مؤتمرات الصلح القبلي في دارفور؟

بسبب النزاعات القبلية الكثيرة فقد تم عقد الكثير من الاتفاقيات ومؤتمرات الصلح منها على سبيل المثال:

أولاً: مؤتمرات الصلح في إقليم دارفور من عام ١٩٣٢ حتى أواخر القرن العشرين (جدول رقم ٣):

الرقم	اسم المؤتمـــر/المكان	الأطراف	التاريخ
١	مؤتمر أم قوزين	الكبابيس– البرتي –الكواهلة	١٩٣٢
٢	المالحة (ش دارفور)	الميدوب– الزيادية– الكبابيش	١٩٥٧
٣	سماحة (سفاهة سابقاً)	الرزيقات – الدينكا (لم يكتمل	١٩٧٥

[٢١] أنظر الجدول رقم (٣) في: عبده مختار موسى، "الأسباب السياسية للنزاعات القبلية في السودان: حالة دارفور"، قُدِّمت في مؤتمر (النزاعات القبلية ومستقبل السلام الاجتماعي في السودان) نظمه مركز تحليل النزاعات، بجامعة امدرمان الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم، ٢٠١٥/٥/١٦

		بسبب هجوم عليه من المتمردين)	
٤	نيالا	البني هلبة – الرزيقات الشمالية	١٩٦٧
٥	نيالا	التعايشة – السـلامات	١٩٨٠
٦	الدلنج	الرزيقات – المسيرية	١٩٨٠
٧	بابنوسـة	الرزيقات – الدينكا	١٩٨١
٨	مليط (ش دارفور)	الكبابيش–الكواهلة–الزيادية–البرتي– الميدوب	١٩٨٢
٩	نيالا	الرزيقات – المسيرية	١٩٨٧
١٠	نيالا	البني هلبة – الرزيقات الشمالية	١٩٨٢
١١	أم كدادة	الكبابيش – البرتي – الزيادية	١٩٨٤
١٢	نيالا	القِمـر – الفلاتا	١٩٨٧
١٣	نيالا	الرزيقات – المسيرية	١٩٨٤
١٤	مليط	الكبابيش–الكواهلة–الزيادية–البرتي–الميدوب	١٩٨٧
١٥	كبكابية	بين الشرتاي آدم أحمداي	١٩٨٩
١٦	الفاشـر	الفور – بعض القبائل العربية	١٩٨٩
١٧	الفاشـر	القمـر – الزغاوة	١٩٩٠
١٨	الجنينة	الزغاوة كبي كيكا وقلا والقمر	١٩٩٠
١٩	نيالا	البرقو – الرزيقات	١٩٩٠
٢٠	نيالا	التعايشة – القمـر	١٩٩١
٢١	الضعين	الزغاوة – المعاليا	١٩٩١
٢٢	الفاشر	الميما – البرقد	١٩٩١
٢٣	كبكابية	الزغاوة – دارقلا – بني حسين	١٩٩١
٢٤	نيالا	الزغاوة – البرقد	١٩٩١
٢٥	نيالا	الفور – الترجم	١٩٩١

٢٦	كتم	الزغاوة – العرب	١٩٩٤
٢٧	باهاي (تشاد)	الزغاوة السودانية – الزغاوة التشادية	١٩٩٦
٢٨	الجنينة	المساليت – العرب	١٩٩٦
٢٩	الفاشر	الكبابيش – الميدوب	١٩٩٧
٣٠	الضعين	الرزيقات – الزغاوة	١٩٩٧

المصدر: الفريق شرطة الطيب عبد الرحمن مختار، "الصراعات القبلية بدارفور واثرها على التنمية والأمن، الخرطوم، مارس ٢٠١٣.

الملاحظ أن معظم هذه المؤتمرات لم تظهر كصراعات مسلحة، مما يعني أنه قد تم احتواؤها في مرحلة النزاعات أو في مرحلتها الأولى قبل أن تتطور إلى حروب قبلية أو صراعات دامية. كما يُلاحظ أن معظمها (ما يقارب الثلثين) حدث عندما كانت الإدارة الأهلية قوية وفاعلة وقبل أن يتم تسييسها في مطلع التسعينات وما بعده.

لكن الملاحظ أيضاً أن كثيراً من هذه الأطراف المتصالحة عادت للصراع مرة أخرى لأن مقررات الصلح لم يتم تنفيذها. والسبب في ذلك – كما يقول الفريق شرطة الطيب عبد الرحمن مختار[٢٢] – أن تلك المؤتمرات لم يتم تكليف آلية خاصة بمتابعة تنفيذ بنود الصلح على الأرض. ولاحظ أن أكثر من (٣٠) مؤتمرا للصلح لم يتم تشكيل آلية لها ما عدا ثلاث فقط وهي: (١) مؤتمر الصلح القبلي بين العرب والزغاوة بشمال دارفور (١٩٩٤) الذي صدر فيه قرار جمهوري بتعيين العميد حقوقي حاتم الوسيلة نائب والي شمال دارفور آنذاك لرئاسة الآلية؛ (٢) مؤتمر الصلح بين المساليت والعرب بالجنينة (١٩٩٦) وقد قام بتشكيل هذه الآلية السيد والي غرب دارفور وأُسند رئاستها للسيد جعفر عبد الحكم محافظ الجنينة. لكن نسبة لضعف تشكيل تلك الآلية وعدم تزويدها بالمعينات فشلت في مهمتها فانفجر الصراع بصورة أسوأ مما كان عليه من قبل؛ (٣) مؤتمر الصلح بين الرزيقات والزغاوة (١٩٩٧ بالضعين) وقد تم تشكيل الآلية بقرار جمهوري وقد كانت ناجحة بدرجة كبيرة حيث استغرق التنفيذ سبع سنوات.[٢٣]

[٢٢] خبير في الصراعات وعمل وزيراً ونائب لوالي جنوب دارفور في الفترة من ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢، وكان قد عمل ضابطاً للشرطة في سبعينات القرن العشرين في إقليم دارفور، كما عمل مدير عام للشرطة لإقليم دارفور حتى عام ١٩٨٩ كما عمل والياً لولاية غرب كردفان في الفترة ٢٠٠٢ – ٢٠٠٥.

[٢٣] الفريق شرطة الطيب عبد الرحمن مختار، المصدر السابق.

الجدول السابق (رقم ٣) يشمل أمثلة لمؤتمرات الصلح لكل إقليم دارفور. أما الجدول التالي (رقم ٤) فهو يوضح المصالحات القبلية في ولاية جنوب دارفور وهي الولاية التي تضم قبيلتي المعاليا والرزيقات (موضوع الدراسة) – ضمن قبائل أخرى – حيث انفصلت منطقتهما إلى ولاية شرق دارفور في عام ٢٠١٣.

جدول رقم ٤:

المصالحات القبلية في ولاية جنوب دارفور ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦

الرقم	تاريخ الصلح	المحلية	الوحدة الادارية	القبائل المتصارعة
١	اكتوبر ٢٠٠٤	الضعين	ابو جابرة – عديلة	رزيقات– معاليا
٢	يناير ٢٠٠٥	الضعين– شعيرية	عسلاية– يشين	رزيقات–برقد
٣	فبراير ٢٠٠٥	نيالا	الملم	بني منصور– صعدة– اولاد منصور – فور
٤	فبراير ٢٠٠٥	شعيرية	نتيقة– شعيرية	مسيرية – برقد
٥	فبراير ٢٠٠٥	نيالا–شعيرية	نتيقة – نيالا	الداجو – المسيرية
٦	مارس ٢٠٠٥	برام	برام – قريضة	هبانية – رزيقات
٧	مارس ٢٠٠٥	رهيد البردي	ام دافوق	التعايشة– الفلاتة– فلا
٨	مارس ٢٠٠٥	نيالا	نيالا	فور – برقد – صعدة – رزيفات – برنو
٩	مارس ٢٠٠٥	نيالا	ابو عجورة	داجو – فور – زغاوة – ترجم – حوطية – تعالبة
١٠	مايو ٢٠٠٥	برام	برام – قريضة	هبانية – مسلات
١١	مايو ٢٠٠٥	نيالا	نيالا	فور – داجو – ابو درق – ترجم – حوطية

١٢	ابريل ٢٠٠٥	كاس	كاس	فور– عرب
١٣	ديسمبر ٢٠٠٥	كاس	شطاية – ام لبسة	فور – بني هلبة
١٤	ديسمبر ٢٠٠٥	شعيرية	شعيرية–نتيقة– يشين	بلرقد – ميسيرية – مسبعات – داجو
١٥	يناير ٢٠٠٦	نيالا – شعيرية	نيالا – نتيقة	برقد– ترجم – رزيقات
١٦	ينائر ٢٠٠٦	برام – تلس	قريضة– يرام– تلس	فلاتة – هبانية – مسلات – رزيقات – مهادية
١٧	فبرائر ٢٠٠٦	نيالا	بليل	زغاوة – ام كمتي – دينكا
١٨	ابريل ٢٠٠٦	كاس	كاس	فور – ترجم – زغاوة – تعالبة
١٩	ابريل ٢٠٠٦	برام – تلس	تلس	هبانية – فلاتة
٢٠	يونيو ٢٠٠٦	نيالا	نيالا	رزيقات – ترجم
٢١	يونيو ٢٠٠٦	برام – تلس	برام – تلس	هبانية – فلاتة
٢٢	يونيو ٠٠٦	نيالا	نيالا	فور – ام كمتي – كنانة
٢٣	يونيو ٢٠٠٦	نيالا – تلس	نيالا – تلس	فلاتة – مهارية – شرفة
٢٤	يونيو ٢٠٠٦	نيالا	نيالا	فور – بني هلبة
٢٥	يونية ٢٠٠٦	نيالا–عد الفرسان	نيالا– عد الفرسان	فور – بني هلبة – قمر
٢٦	اغسطس ٢٠٠٦	عد الفرسان– تلس	كتيلا – تلس	فلاتة – قمر
٢٧	اغسطس ٢٠٠٦	برام – ضعين	سنطة – فردوس	هبانية – رزيقات
٢٨	اغسطس ٢٠٠٦	نيالا – تلس	نيالا – تلس	فلاتة – مهارية

٢٩	اغسطس ٢٠٠٦	نيالا	نيالا	اولاد هنانة – رزيقات– اولاد ام احمد رزيقات
٣٠	سبتمبر ٢٠٠٦	نيالا	نيالا	مجموعة قبائل مختلفة
٣١	اكتوبر ٢٠٠٦	نيالا	ابو عجورة	فور – ترجم – رزيقات – فلاتة
٣٢	ديسمبر ٢٠٠٦	برام	ردوم	بنقا – كارا
٣٣	ديسمبر ٢٠٠٦	نيالا	طوال	بني هلبة – مراريت – شرفة – فور

المصدر: صندوق دعم المصالحات القبلية- دارفور.

لا شك في أن الصراعات القبلية في دارفور قديمة وترجع لثلاثينات القرن العشرين – كما سبقت الإشارة – غير أن الجديد في هذه الصراعات هو تزايد معدلاتها اذ تشير التقارير الي حدوث أكثر من ثلاثين صراعاً قبلياً في جنوب دارفور فقط خلال العامين ٢٠٠٥-٢٠٠٦. كما يلاحظ أن أكثر قبيلة كانت طرف في هذه الصراعات هي قبيلة الرزيقات. الجدول (رقم ٣ أعلاه) يوضح ذلك. لا شك أن صراعات بمثل هذه الكثافة لها تاثير مباشر على الأمن المحلي والولائي والقومي.

خامساً: مؤتمر الصلح بين المعاليا والرزيقات في مروي (فبراير ٢٠١٥):

نسبة لتفاقم الصراع بين المعاليا والرزيقات وفشل العديد من مؤتمرات الصلح بين القبيلتين اضطرت رئاسة الجمهورية للتدخل فصدر قرار جمهوري في ١٨ فبراير ٢٠١٥ بتشكيل "لجنة الأجاويد لمؤتمر الصلح بين الرزيقات والمعاليا". وكانت اللجنة برئاسة الشرتاي/ إبراهيم عبد الله محمد. واستضافت حكومة الولاية الشمالية المؤتمر في مدينة (مروي) وحضره النائب الأول لرئيس الجمهورية الفريق أول/ركن/ بكري حسن صالح.[٢٤] وكان ضمن مهام اللجنة البحث عن الأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث بين الرزيقات والمعاليا؛ ومعالجة تداعيات الأحداث بين القبيلتين؛

[٢٤] بالإضافة للنائب الأول لرئيس الجمهورية، ووالي الولاية الشمالية (د. إبراهيم الخضر) حضر المؤتمر كل من وزير الحكم اللامركزي (د. فرح مصطفى) وهو المشرف المباشر على المؤتمر، والعقيد الطيب عبد الكريم (والي ولاية شرق دارفور – معقل القبيلتين) وأعضاء حكومة شرق دارفور وأعضاء حكومة الولاية الشمالية، ولجنة أمن شرق دارفور، وعدد من المسؤولين بالمركز والولايات، ولجنة الأجاويد برئاسة الشرتاي إبراهيم عبد الله. وقد تم تعيين الأجاويد بمرسوم جمهوري (رقم ٨١ لسنة ٢٠١٥) وأدت لجنة الأجاويد القسم على الحيدة والنزاهة.

وحصر وتقدير ومعالجة الخسائر في الأرواح والجرحى والممتلكات. وخرج بمقررات محددة.[٢٥] وقد وقّع على البيان الختامي رئيس وفد الرزيقات. إلا أن وفد المعاليا رفض التوقيع على مقررات المؤتمر.

وقد كتبت نخبة من أبناء المعاليا ورقة شرحوا فيها أسباب رفضهم لمخرجات مؤتمر مروي، حيث قدموا فيها (١٣) حيثية لموقفهم. يرى المعاليا – مع تقديرهم للجهات الرسمية التي قامت بهذه المبادرة – إلى أن هناك مَن "انحرف بالمبادرة عن مسارها الصحيح وتدخلت فيها الأيدي الآثمة التي سعت ترغيبا وترهيبا وتخريبا للخروج بوثيقة تحقق مآرب أحد طرفي النزاع على حساب الطرف الآخر المفترى عليه، وذلك رغم أنف الواقع وحقائق التاريخ، وعلى الرغم من أحكام الدستور ونصوص القانون السارية المفعول في جمهورية السودان. لقد أدى كل ذلك إلى أن تخرج وثيقة صلح مروي في صورة شائهة مخالفة للعرف والقانون وحقائق التاريخ وتنذر بشر مستطير ومزيد من سفك الدماء في منطقة شرق دارفور وتفتح الباب واسعاً أمام قبائل السودان الأخرى لأن تفتي في ما أقره القانون وأثبته الدستور بشأن ملكية الأرض في السودان."

ويرى بعض أبناء المعاليا أن لجنة الأجاويد قامت "بإقحام غير مبرر لقضية الأرض في مداولات وأجندة المؤتمر رغم أن العاليا لم يقصروا في إثبات أحقيتهم في الأرض خلافا للطرف الآخر الذي بنى مواقفه على توصيات مؤتمرات سابقة لم تر النور".

وقدم المعاليا حيثيات تضمنت: (١) إثبات تاريخي قانوني؛ (٢) إثبات جغرافي اجتماعي؛ و (٣) إثبات عن طريق توارث الزعامة المتداولة.

قدم المعاليا (١٧) حيثية تاريخية تثبت حقهم في تلك الأراضي المتنازع عليها مع الرزيقات، بعض مصادر هذه الوثائق مؤرخين أجانب وبعضهم سودانيين. من هؤلاء ذكروا كبت وبحوث ووثائق لكل من نعوم شقير وماكمايكل MacMickel وسلاطين باشا ومحمد إبراهيم أبو سليم ومذكرات مدير دارفور (أبوسن). كما قدم أبناء المعاليا في ورقتهم سرداً تارخيا لاعتداءات الرزيقات عليهم، وقد شمل ذلك تاريخ ومكان الاعتداءات والخسائر البشرية والمادية وعدد الجرحى.

[٢٥] لتفاصيل مخرجات هذا المؤتمر أنظر الملحق رقم (١).

ويقول المعاليا أن لجنة الأجاويد لم تلتزم باختصاصاتها التي حددها القرار الجمهوري حيث لم تقم ببحث الأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث بين القبيلتين، ولم تعالج تداعيات الأحداث التي وقعت في الضعين، ولم تقترح له آليات لتحقيق التعايش وبناء السلم الاجتماعي، وأخفقت اللجنة في اتباع العرف والعدالة في تقدير الخسائر أو حصرها ومعالجتها. واتهم المعاليا اللجنة بعدم الحيادية لأن أثار حفيظة المعاليا هو أن اللجنة أعلنت أن أراضي محليتي (عديلة وأبو كارنكا ووحدة كليكلي أبو أم سلامة – وهي الأراضي التاريخية المعروفة بـ "قوز المعاليا") أنها جزء من دار الرزيقات التقليدية التاريخية. ثم ناقضت نفسها وقالت في بند آخر "أن الأرض بموجب الدستور هي ملك للدولة ينتفع بها المواطنون بموجب القوانين التي تنظم ذلك وكذلك الأعراف، مما جعل من وثيقة الصلح وثيقة شائهة متناقضة في نصوصها."[٢٦] غير أن المعاليا استدركوا في موقفهم بنقطة مهمة عندما أقروا بأن "...ملكية الأرض أو أيلولتها أمر غير مطروح للنقاش لأغراض الصلح أو خلافه، إلا في إطار حلول شاملة لمشاكل الأرض والحواكير في إطار دستور دائم يرتضيه ويجمع عليه أهل السودان قاطبة."

كما أثار المعاليا نقطة أخرى في رفضهم لمقررات المؤتمر حيث يرون أن المؤتمر قد "جانب الصواب وقواعد العدل في تعامله مع قضية شهداء المعاليا الذين تم قتلهم اعتداءً من الرزيقات، وكذلك قتلى الرزيقات الذين ماتوا وهم معتدين، إذ كيف يجوز قانونا أو شرعا أو عُرفاً المساواة في الدية بين المعتدِي والمعتَدَى عليه..."[٢٧] كذلك يأخذ المعاليا على مقررات مؤتمر مروي أن اللجنة لم تتناول قضية طرد أبناء المعاليا وأسرهم من مدينة الضعين عاصمة ولاية شرق دارفور... وأغفلت وثيقة صلح مروي تحديد الجهة المسؤولة عن دفع الخسائر المادية التي تعرض لها المعاليا بالسرقة والإتلاف والحرق والاستيلاء... خلال المجازر التي أوقعها بهم الرزيقات في الضعين وخارجها... وأغفلت تحديد مسؤولية استخدام الرزيقات لسلاح الدولة ومركباتها في عدوان قبلي غاشم.

وقد تضمن خطاب المعاليا في مؤتمر مروي حقهم التاريخي وقدموا فيه تلخيصا لاعتداءات الرزيقات عليهم وقدموا فيه اقتراحات لحل المعضلة من بينها فك الارتباط بولاية شرق دارفور وانشاء جسم إداري للمعاليا يتبع لولاية شمال دارفور، وترسيم الحدود وفق أمر تأسيس لمحلية عديلة المنشأة بقرار جمهوري عام ١٩٩٨، والسداد الفوري للديات لشهداء المعاليا وتعويضات للجرحى، وبناء المؤسسات

[٢٦] لماذا يرفض المعاليا مخرجات مؤتمر مروي للصلح مع الرزيقات؟، مصدر سبق ذكره.
[٢٧] المصدر نفسه.

التي تم تدميرها في مناطق المعاليا، و وضع نظام رادع للمتفلتين فردياً أو جماعياً من القبيلتين. وقد أشاروا إلى أن عدد شهداء المعاليا (٢٨٥) شهيد وعدد الجرحى (٢٠٥) والتعويضات المالية تُقدر بمبلغ ١٩٤,٦٠٢,٦٢٦ جنيه سوداني للفترة من ٢٠١٣ – ٢٠١٥.

بالمقابل يصر الرزيقات أيضاً على أحقيتهم في الأرض. ويقول الرزيقات – في خطابهم في مؤتمر مروي – أن "دار الرزيقات محددة تاريخيا ويسكن المعاليا في جزء منها باتفاقيات سابقة مع إدارة الرزيقات ويتبعون إداريا لنظارة الرزيقات. وأشاروا إلى أن (أُكل قُم) هو مبدأ قانوني راسخ في التعامل مع الأرض."[٢٨]

ومثلما قدم المعاليا (١٧) حيثية تاريخية كذلك قد الرزيقات (١٨) حيثية. وقد أشار الرزيقات إلى أن الرزيقات منحوا المعاليا نظارة في منطقة عديلة (والتي تضم أبو كارنكا) إلى أن هذه النظارة هي "على المواطن فقط وليس على الأرض"، التي هي أرض الرزيقات – بحسب ما جاء في حيثيات الرزيقات في مؤتمر مروي. كما أشاروا إلى أن "أصل المعاليا يرجع إلى البني عامر القبيلة العريقة". وطالبوا بأن تقوم الحكومة بإرجاع المعاليا إلى ديارهم – دار البني عامر أو دار حامد.[٢٩]

ومثلما أورد المعاليا ضحايا وخسائر في معاركهم مع الرزيقات قدم الرزيقات أيضا قائمة بالضحايا والجرحى في تلك المعارك. وكما أشار المعاليا إلى اعتداءات من الرزيقات عليهم، كذلك أشار الرزيقات إلى أن العاليا قاموا بخروقات كثيرة خاصة بعد مؤتمر (الفولة). وأوردوا أكثر من (٤٠) حالة اعتداء (معظمها فردي) من المعاليا على الرزيقات. كما قدموا احصائيات بعدد قتلاهم والجرحى. حيث بلغ عدد قتلى الرزيقات في الفترة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٥ (٤٩١) قتيل و (٥٠٢) جريح.[٣٠]

لكن أخطر نقطة يجب التركيز عليها في عملية التوعية أو أي محاولة صلح مستقبلاً هي النقطة رقم (٧) في خطاب الرزيقات في مؤتمر صلح مروي – مقروءة مع النقطتين (٤) و (٥)، حيث يقول الزريقات: "لا نقبل لأي قبيلة إدعاء لملكية دار داخل هذه الديار (المعاليا على وجه الخصوص) إلا أن المعاليا تجاوزوا هذا المفهوم إلى تقسيم دار الرزيقات إلى دار الرزيقات والمعاليا وفق خطة

[٢٨] ملخص خطاب الرزيقات لمؤتمر مروي للصلح بين قبيلتي الرزيقات والمعاليا، ٢٠١٥/٢/١٨.
[٢٩] المصدر نفسه.
[٣٠] المصدر نفسه.

مرسومة بدأت بالمطالبة بمحلية لقرية عديلة." وفي النقطة (٤) يقول خطاب الرزيقات "في دار الرزيقات (٦٠) عمويدة إدارية وقبائل أخرى (التنجر، والبرتي، والزغاوة والبرقو) وقبيلة المعاليا واحدة من هذه القبائل". وفي النقطة (٥) يقول الرزيقات "تدير كل هذه القبائل نظارة الرزيقات يساعدها عمد مختارون من قبل قبائلهم وهم متساوون في استغلال موارد الأرض."[٣١]

إذن كان على اللجنة فحص هذه الوثائق باحترافية ومهنية عالية. ربما كانت هذه القضية تحتاج لوقت أطول مما هو متاح في مؤتمر مروي (اسبوع) لأن هذه القضية معقدة جداً. وهي أشبه بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي – كل طرف يدعي أحقيته التاريخية والقانونية في الأرض (مع اختلاف عدم وجود العنصر الديني في صراع المعاليا /الرزيقات).

الخاتمــة:

نحن أمام ظاهرة اجتماعية – معضلة قبلية – وهي مشكلة مستعصية تراكمت عبر السنين، وسبب تعقيدها هو أنها ترتبط بإعتقاد جازم لدى كل طرف بأنه صاحب حق. المعتدِي يقول أنه اعتدى لأنه يريد أن يسترد حقه، بينما يرى المعتدى عليه بأنه أيضا على حق وأنه مظلوم (كل طرف أحياناً يكون هو المعتدي والعكس). وكل طرف يدعي بأنه ضحية لظلم وتعدي وعدوان. فيكون الفعل ورد الفعل – العنف والعنف المضاد ويسقط الضحايا من الطرفين ويجلسوا لمصالحة أو صلح ثم يعودوا مرة أخرى للاقتتال.

مشكلة بهذا التعقيد – أو معضلة (فيها التاريخي والعُرفي/القانوني، والاجتماعي/القبلي والنفسي) لا يمكن حلها بقرار أو بقانون؛ أو اتفاقات صلح (والدليل على ذلك فشل مؤتمر مروي، فبراير ٢٠١٥) أو بإجراءات عسكرية/أمنية. فهيبة الدولة وحدها ليست هي الحل، يمكن أن يساعد ذلك لفترة انتقالية(مثل قوات حفظ السلام) لكن لاستدامة السلام لا بد من أن يتم ذلك عن طريق بناء السلام

[٣١] خطاب الرزيقات في مؤتمر صلح مروي،المصدر السابق.

بالاستعانة بميكانيزمات المجتمع نفسه باستصحاب منظومة القيم والأعراف ومؤسسة القبيلة). فهي تحتاج لفهم خاص وتعامل استثنائي.

لذلك ترى هذه الورقة أن حل هذه المعضلة يجب أن يتناسب مع حجمها وأبعادها وتعقيدها. فهي تحتاج إلى خبراء يدرسون كل جوانبها ويقترحون حلاً متكاملاً – بالتدرج وممرحل. لكن أن يتم ذلك في سياق ترتيبات وتدابير تسير جنبا إلى جنب في مسارين: جانب عاجل لاستتباب الأمن؛ وجانب آخر آجل – للحل الجذري/النهائي والمستدام.

في الحل العاجل يحتاج إلى لجنة مساعٍ حميدة، قومية محايدة، يشكلها رئيس الجمهورية على أن تضم في عضويتها مثلين لكل طرف لتهدئة الأمور. فمهمتها ليس صياغة صلح دائم، بل أن تحقق ما يشبه الهدنة الطويلة – بمثابة فترة انتقالية (لمدة عام مثلاً) يلتزم فيها الطرفان بوقف العدائيات، وذلك لإعطاء الحكومة الفرصة الكافية لوضع الحلول الجذرية وفق لجنة فنية محايدة. وهي المعنية بالجانب أو المسار الثاني، وهو الحل الدائم (بإذن الله).

هذا الحل الجذري/الدائم يعتمد على معالجة المشكلة في إطارها الأشمل بالتعامل معها كجزء من مشكلة وطنية عامة؛ وهي وضع قوانين جديدة تعيد النظر في مفهوم ملكية الأرض وبالتالي قواني الأرض لكل السودان.

لكن، بما أن هذه المشكلة معقدة وترتبط بـ "الأرض" بمفهومها القيمي/القبلي، وبالتالي فيها جانب نفسي/اجتماعي، فإن الحل سوف يواجه مشاكل وصعوبات. كيف يمكن مواجهتها؟

تتم مواجهتها بالتوعية بأسلوب مزدوج: اقناع القيادات القبلية والطبقة المتعلمة أولاً؛ ثم توعية القواعد (المواطنين أبناء القبيلة) ثانياً، وذلك من خلال حملات إعلامية مكثفة

تشمل الإعلام/الاتصال المباشر والوسائل التقليدية للإعلام القبلي مثل الحكّامات (جمع حكّامة، وتم تغيير الاسم إلى "حكيمة") والهدّاي (شاعر الحماسة في القبيلة). وهنا يمكن أن يواصل مركز دراسات المجتمع جهده ويضع برنامجاً لهذا الهدف بالتنسيق مع جهات أخرى (حكومة الولاية، ديوان الحكم الاتحادي، وسائل الإعلام) وبالشراكة مع جهات لها جهود ورؤية جاهزة في عملية بناء السلام (مثل مركز درسات السلام بجامعة الخرطوم). أي أن يكون هناك جهد منظم ومكثف وممنهج وتنسيق المبادرات كلها في وعاء واحد – أو آلية واحدة (مثل مدا)، بهدف إحداث نقلة تدريجية في الرأي العام المحلي ولفهم الناس هناك لمقتضيات تدخل الدولة في إعادة توزيع الأرض باعتبارها ملك للجميع تنظم الدولة استخدام المواطن لها وفق قوانين لتحقيق المنفعة للجميع.

غير أن الأمر سوف يكون صعبا في الواقع وغير مقبولاً للقبائل، لذلك أقترح التدرج في تطبيق القانون (الجديد بعد سنِّه) من منح تعويضات للقبائل في الأرض التي تدعي أنها ملك لها بأن تنزع الحكومة نسبة معينة من أراضي القبائل لتكون تحت إدارة الدولة (وليس القبيلة) وتستأجرها لمن يرغب في استقلالها مثلما تعمل مع بقية المواطنين في بقية أنحاء السودان، على أن تُعطى القبيلة (في المنطقة المعنية) الأولوية في استئجارها واستخدامها بالتركيز على الأقليات والقبائل المتضررة من سلوك القبائل الكبيرة.

وأن يكون أيضاً مقابل أخذ جزء من الأرض من القبائل الكبيرة (لتكون تحت إدارة الدولة) بأن توفر الدولة الخدمات لكل القبائل لا سيما تلك التي تم استقطاع أراض منها مثل خدمات المياه والصحة والتعليم والخدمات البيطرية ومدخلات الزراعة (للقبائل المستقرة) والأمن وتنظيم عملية المسارات والإشراف على الحدود في الأراضي الزراعية بين القبائل..

هناك جهة يمكن أن تساعد الحكومة كثيراً في تنفيذ هذه المقترحات وهي الإدارة الأهلية. لكن شريطة أن تُعاد لها سلطاتها وهيبتها وحياديتها وعدم تسييسها وإلغاء هذه تلك المسميات التي جاءت بها (حكومة الإنقاذ) مثل "الأمير" لأنها ارتبطت بالتسييس، واسترداد هيكلها ومسمياتها كما كان في الماضي (ناظر/عمدة/شيخ...) مع دعمها لوجستياً لأداء دورها كما كان في الماضي. فإذا اقتنعت القبائل بأن الإدارة الأهلية لعادة سابق عهدها بعيدا عن التسييس وبكامل سلطاتها وحياديتها فسوف تستعيد مكانتها وأن الجميع سوف يحترمونها ويعملوا على الخضوع لها وتنفيد ما تقوله. وهي آلية مهمة لتحقيق التهدئة والتمهيد للتحول الجديد في القوانين – قوانين الأرض. فالإدارة الأهلية (بهيبتها وسلطاتها القديمة) هي الأقدر على تهيئة المناخ لقبول ما يأتي من الدولة أو تدخل الحكومة.

يجب أن لا تنزعج الحكومة من عودة الإدارة الأهلية بوضعها القديم فهي سوف تنحسر تدريجيا وتتلاشى مثلما حدث في مناطق أخرى في السودان – بعوامل التنمية والتعليم وانديا‌ح الوعي والمدنية.. لكن الحكومة تحتاج الآن لعودة هذه الإدارة بسابق عهدها كمرحلة انتقالية مهمة لاستتباب الأمن ووضع حد للصراعات القبلية وتحقيق الاستقرار والتنمية.

بالإضافة للمقترحات التي سبق ذكرها يمكن الاستعانة بتدابير أو سياسات وإجراءات أخرى مثل:

١. إلغاء الديات – التي تدفعها الدولة – لأن الدية التي تدفعها الحكومة لطرفي الصراع (لكل قبائل تتقاتل) يشجع المزيد من القتل – طالما أن العقوبة ليست الإعدام. فنظام الدية يُعطل عقوبة الإعدام المنصوص عليها، نظرياً، في القانون في حالة القتل العمد.

٢. جمع السلاح من كل القبائل ومن الأفراد فانتشار السلاح ساعد على نشر ثقافة العنف وزاد من حجم الضحايا.

٣. تغيير ثقافة الحكّامات والهدايين (دعم مشروع مدا في هذا المجال والاستمرار فيه بتنسيق وشراكة مع الجهات المعنية والجهات المهتمة بحل هذه القضية).

٤. توظيف الإعلام القومي والمحلي/التقليدي في تغيير المفاهيم والثقافة السائدة وسط القبائل (مثل التعصب القبلي والتارات "الثأر"، وغيرها) مع تنسيق الجهود بين الجهات المعنية والمهتمة (مثل اتحاد الصحفيين ومبادرة أحمد البلال الطيب من خلال برنامجه التلفزيوني "في الواجهة"...).

٥. تقوية الإدارة الأهلية بإبتعاد الحكومة عن التدخل فيها (بأن تكف عن تعيين قياداتها أو محاولة تسييسها) مع ضرورة دعمها (بوسائل النقل والاتصال) ومنحها سلطات قضائية كما كان في الماضي..

٦. أن يقوم الوعاظ والدعاة والإعلاميين والحكامات (الحكيمات) والهدايين (خاصة الذين تلقوا تدريباً في مركز دراسات المجتمع – مدا) بجهد توعوي منظم ومكثف لتغيير بعض مفاهيم "القبلية" المتطرفة الخاصة بالتصورات "بأنهم هم الأفضل، والأحق" وذلك بمدخل الدعوة والدين والإعلام المحلي/التقليدي" بمدخل "أنكم ليس وحدكم، وأن للآخرين لهم حقوق مثل ما لكم – في الأرض – وأن الأرض ملك للجميع يتسخدمها ويستفيد منها تحت اشراف الدولة ووفق ما ينظمه القانون".. وأن يتعامل مثقفو القبيلتين مع القضية بوعي وشفافية، وبحذر وعقلانية (لأن هناك اتهام لبعض المثقفين بأنهم يثيرون الفتنة برفع شعارات معينة مما يعوق أي صلح أو أية محاولة في تغيير المفاهيم والثقافة والمواقف). وهنا مهم استدعاء البعد الديني من خلال التذكير بأن الله حرم على المسلم قتل النفس إلا بالحق، وأن الفتنة أشد من القتل..

٧. إعادة النظر في قوانين الأرض وفق ما جاء تفصيله سابقاً في هذه الورقة.
٨. وضع استراتيجية لاحتواء العنف القبلي تستصحب هذه المقترحات وتستعين بالخبراء في هذا المجال.
٩. وضع آلية لتنفيذ أي مؤتمر صلح يتم. فقد رصدت هذه الورقة أكثر من ٣٠ مؤتمر صلح في الفترة ما بين ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦، وكذلك مثلها في تسعينات القرن العشرين، لم ينجح فيها إلا ثلاثة – واحد فقط نجح بصورة كاملة وإثنين جزئياً أو لحد ما، أما البقية قد فشلت فشلاً تاماً والدليل على ذلك عودة الصراعات والمعارك بين تكل القبائل التي اجتمعت في مؤتمرات للصلح ووقعت على وثيقة خاصة بذلك. وقد نجح ذلك المؤتمر الوحيد في التسعينات لأن هناك آلية لمتابعة تنفيذ بنوده تم تشكيلها بقرار جمهوري وتم ختيار الشخصيات المناسبة لتلك الآلية. وهذا هو أحد الأسباب الأساسية في تفسير لماذا تفشل مؤتمرات الصلح القبلي (في السودان بصورة عامة وفي إقليم دارفور على وجه الخصوص)؟ وهو السؤال المحوري الذي انطلقت منه هذه الورقــة.
١٠. كذلك بالنسبة للحل الجذري للصراع بين الرزيقات والمعاليا تقترح هذه الورقة تشكيل لجنة فنية/ قومية محايدة قوامها علماء وخبراء وباحثين تترأسها شخصية قومية مقبولة لأطراف الصراع، وتضم في عضويتها ما بين ٣ إلى٥ من أميز النخب المتعلمة لتمثيل الطرفين ومثلهما من أعيان القبيلتين، وممثلين للإدارة الأهلية (بعد تقويتها ودعمها وتحييدها). وعلى هذه اللجنة أن تعكف على دراسة الوثائق المقدمة من الطرفين وتخرج بالحقائق المجردة التي تحدد حقوق وحدود كل طرف في الأرض. وأن تقترح للحكومة كيف يمكن تعديل قوانين الأرض وملكيتها – في ظل مراجعة شاملة للدستور وللقوانين الخاص باستخدام الأراضي..

ملحق (١)

أهم ما جاء في مقررات مؤتمر مروي فبراير ٢٠١٥

(التي وافق عليها الرزيقات ورفضها المعاليا وفق حيثيات تمت الإشارة إليها في متن الورقة)

١. بالرجوع للدستور والأعراف والتقاليد والموروثات التاريخية والمواثيق فإن الأرض – موضوع النزاع (محليتي عديلة وأبوكارنكا) جزء من دار الرزيقات التقليدية التاريخية تقطن فيها قبيلة المعاليا منذ أمد بعيد.

٢. الأرض بموجب الدستور والقانون ملك للدولة ينتفع المواطنون منها بموجب القوانين التي تنظم ذلك وكذلك الأعراف.

٣. تبقى نظارة المعاليا بموجب القرار رقم ٥٧ لسنة ٢٠٠٤ الذي أصدره والي جنوب دارفور القاضي بإنشاء نظارة المعاليا مع مراعاة الأوضاع التاريخية وممارسة الاختصاصات الواردة في قرار الإنشاء.

٤. على القبيلتين العمل الجاد لتحقيق التعايش وبناء السلم الاجتماعي عبر مناشط اجتماعية وأهلية حتى تعود الحياة سيرتها القديمة في الحميمية والإخاء.

٥. قرر المؤتمر عودة المتأثرين بالحرب إلى قراهم ومنازلهم ومتاجرهم ومزراعهم وأماكن ومواقع نشاطهم الاقتصادي لممارسة حياتهم الطبيعية.

٦. اي حادث بعد التوقيع على الوثيقة يُعامل معاملة فردية بإجراءات جنائية.

٧. أي فرد أو جماعة يسعى أو تسعى لخرق أي بند من بنود الصلح يُعامل بحسم وقو القانون ولا يجد حماية من القبيلة أو أي جهة.

٨. يلتزم طرفا الصلح بمحاربة المتفلتين الخارجينعن القانون والتبليغ الفوري عنهم ومساعدة السلطات على القبض عليهم وتقديمهم للعدالة.

٩. على الحكومة دفع تعويضات المتأثرين بالحرب داخل مدينة الضعين الذين فقدوا ممتلكاتهم.

١٠. يُعامل الجرحى وفقا لشهادة القمسيون الطبي التي تحدد نسبة العجز الإصابة.

١١. شهداء الشُرطة يُعاملون وفق قانون الشُرطة.

١٢. كما قرر المؤتمر الديات والتعويضات ويلتزم بها الأطراف.

ملحق (٢):

بيان من ناظر عموم المعاليا

(٢٠١٣/٨/١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشعب السوداني وزعماء قبائل دارفور ونخبها السياسية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أؤكدُ لكم أنا / **مُحَمد أحمد الصافي ، ناظِر عموم قبيلة المعاليا** بأن قبيلة المعاليا في واسعِ حاكورتها ومُختلفِ مناطقها تعرضتْ منذ أسبوع ونيف ولا تزال تتعرض لحربِ إبادة منظمة ومُخطط لها مع سبق الإصرار تقودها علناً الإدارة الأهلية لقبيلة الرزيقات ونُخَبَها السياسية الحاكِمة في المركز والمُحْتكِرة للقرار الأمني في ولاية شرق دارفور مستخدمةً مليشيات الجنجويد ذات التاريخ الإجرامي السيئ في دارفور .

يا جماهير شعبنا وقياداته السياسية وزعماء قبائله

أُناشدَكم أنا ناظر عموم المعاليا ومن موقعي كزعيم وقائد أهلي، من مواقع مسؤولياتكم الأخلاقية، الوطنية والأهلية ألا تدخروا جهدا مُخلصا وعادلا يدعم كل ما من شأنه وقف هذا المخطط العنصري ضد قبيلتي والهادف إلى تحقيق أطماع قبلية للإدارة الأهلية لقبيلة الرزيقات في حاكورة المعاليا بل وإحتلال حواكير كل القبائل التي تنحني أمام هجوماتها وبالتالي تهجيرها وتوطين مليشيا الجنجويد المستوردة من خارج الحدود وتحقيق بالضرورة الطموح الشخصي للنخبة السياسية. لقبيلة الرزيقات .

ومن موقع مسؤوليتي ننفي نفيا باتا مشاركة حركة تحرير السودان (مناوي) في هذا الصراع ولا أي جهة أخرى أهلية أو رسمية، وما أدلى به والي ولاية شرق دارفور (كاشا) لوسائل الإعلام

محض إفتراء قصد به عمدا وعن سوء نية تزييف الحقائق وتضليل الرأي العام لتبرير جرائمه ضد المعاليا لأنه بإنحيازه المكشوف لقبيلته إختار (كاشا) أن يكون زعيما قبلياً وجنرال حرب يخضع لأوامر الأدارة الأهلية للرزيقات بدلاً عن صيانة دستور البلاد وإلتزامه الأخلاقي بقيمه وجوهره وأقسم على اليمين الدستوري (أن) يحكم بالعدل وأن يقف على مسافة متساوية من كل المواطنيين في الولاية.

وختاما نعيد تأكيد تمسكنا بحقنا المشروع في الدفاع عن أرضنا (جكا – دار المعاليا) والتي تغلي اليوم بارواح الشهداء ودماءهم التي سقتها وحملتنا مسؤولية ألا نفرط في شبر كان ثمنه مئات الشهداء ودموع اليتامي ونواح الثكالى والأرامل ونقسم بالله وبشرفنا أن تبقى القبيلة بكرامة على أرضها أو تموت دفاعا عنها .

ودمتم

صدر تحت توقيعي اليوم ١٤ أغسطس ٢٠١٣م

محمد أحمد الصافي

ناظر عموم المعاليا